٣

أسماء الله الحسنى

(القابض - الباسط - الخافض - الرافع - المعز -
المذل - السميع - البصير - الحكم - العدل)

كتبه
سمير حلبي

رسوم
عبد المرضى عبيد

شركة سفير

حلبى ، سمير

أسماء الله الحسنى / سمير حلبى

١٢ ص، ٢٣ × ٢٣ سم

١- أسماء الله الحسنى / الكتاب الثالث

٢- الأطفال - ثقافة

أ- حلبى ، سمير ب- العنوان

ديوى/ ٢١٠

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

رقم الإيداع : ١٩٣٢٣ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : 7 - 293 - 361 - 977 **ISBN:**

الخَنْسَاءُ وَأَوْلادُهَا الأَرْبَعَةُ

حَضَرَتِ «الخَنْسَاءُ» مَعْرَكَةَ «القَادِسِيَّةِ» مَعَ الجَيْشِ فِي زَمَنِ «عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ»، وَأَخَذَتْ تُحَرِّضُ أَبْنَاءَهَا الأَرْبَعَةَ عَلَى الجِهَادِ، وَهِيَ تَقُولُ لَهُم: «يَا بَنِيَّ، إِنَّكُمُ أَسْلَمْتُم طَائِعِينَ وَهَاجَرْتُم مُخْتَارِينَ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الجَزِيلِ فِي حَرْبِ الكَافِرِينَ، فَإِذَا أَصْبَحْتُم غَدًا إِن شَاءَ اللَّهُ سَالِمِينَ فَاغْدُوا عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُم مُسْتَبْصِرِينَ وَبِاللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ».

فَلَمَّا بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ انْطَلَقَ أَبْنَاؤُهَا إِلَى القِتَالِ فِي حَمَاسٍ وَشَجَاعَةٍ، فَاسْتُشْهِدُوا جَمِيعًا. وَعِنْدَمَا عَلِمَتِ «الخَنْسَاءُ» بِخَبَرِ اسْتِشْهَادِهِمْ، لَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تَبْكِ، وَلَكِنَّهَا صَبَرَتْ، وَقَالَتْ قَوْلَتَهَا المَشْهُورَةَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِم، وَأَرْجُو رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِم فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ».

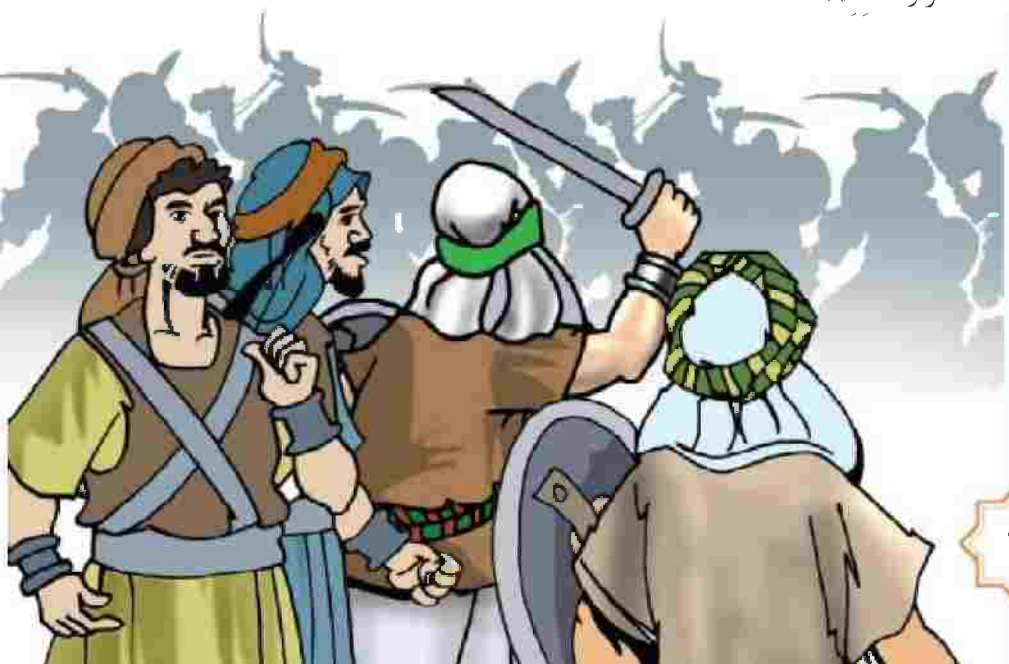

القَابِضُ

«القَابِضُ» هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ، وَهُوَ الَّذِي يَقْبِضُ أَعْمَالَ البَشَرِ لِيُكَافِئَهُم عَلَيْهَا، وَيَقْبِضُ الصَّدَقَاتِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ (أَيْ يَقْبَلُهَا)، فَلَيْسَ لِلْغَنِيِّ مِنَّةٌ وَلا فَخْرٌ عَلَى الفَقِيرِ فِيمَا يُعْطِيهِ لَهُ، لأَنَّهُ إِنَّمَا يُعْطِي لِلَّهِ الَّذِي مَنَحَهُ كُلَّ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الغِنَى وَالسَّعَادَةِ. وَالقَبْضُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لأَنَّهُ يُذَكِّرُ العَبْدَ بِاحْتِيَاجِهِ الدَّائِمِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَيَكُونُ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِهِ، لا يَلْجَأُ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، وَلا يَقْصِدُ غَيْرَهُ. وَالمُؤْمِنُ الحَقُّ هُوَ الَّذِي يَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ ضُرٌّ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.

الإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ

كَانَ هُنَاكَ ثَلاثَةُ إِخْوَةٍ مَاتَ أَبُوهُم وَتَرَكَ لِلأَخِ الأَكْبَرِ دَارًا جَمِيلَةً، وَلِلثَّانِى ثَوْرًا وَبَقَرَةً، أَمَّا الأَخُ الأَصْغَرُ فَكَانَ نَصِيبُهُ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الأَرْضِ وَجوَالا مِنَ القَمْحِ.

بَاعَ الأَخُ الأَكْبَرُ الدَّارَ وَاشْتَرَى كُلَّ مَا كَانَ يَشْتَهِيه، حَتَّى نَفِدَ مَا مَعَهُ مِنَ النُّقُودِ وَأَصْبَحَ فَقِيرًا، وَبَاعَ الأَخُ الأَوْسَطُ الثَّوْرَ وَالبَقَرَةَ، وَسُرْعَانَ مَا نَفِدَ ثَمَنُهُمَا، أَمَّا الأَخُ الأَصْغَرُ فَقَدِ انْطَلَقَ إِلَى حَقْلِه، فَنَثَرَ فِيه حَبَّاتِ القَمْحِ، وَأَخَذَ يَرْوِيه وَيَعْتَنِى بِه حَتَّى آنَ وَقْتَ حَصَادِ المَحْصُولِ فَبَاعَهُ، وَعَادَ يَزْرَعُ حَقْلَهُ مِنْ جَدِيدٍ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ المَحَاصِيلِ، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَشْتَرِى دَارًا جَدِيدَةً وَبَقَرَةً وَثَوْرًا، وَبِمُرُورِ السَّنَوَاتِ أَصْبَحَ الأَخُ الأَصْغَرُ مِنْ أَثْرِيَاءِ القَرْيَةِ، فَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِى عَمَلِه، وَبَسَطَ لَهُ فِى رِزْقِه، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ أَخَوَيْه، فَكَانَ دَائِمًا يَبَرُّهُمَا وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا.

البَاسِطُ

«البَاسِطُ» هُوَ الَّذِى يَبْسُطُ العَطَاءَ لِعِبَادِه، وَيَمْنَحُهُم مِنْ فَضْلِه وَكَرَمِه النِّعَمَ الكَثِيرَةَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(سورة العنكبوت : الآية ٦٢)

وَ«البَاسِطُ» الَّذِى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِعِبَادِه بِلُطْفِه وَحِكْمَتِه، وَيُوَسِّعُ عَلَيهِم بِجُودِه وَرَحْمَتِه، وَيَعُمُّهُم بِفَضْلِه، وَيُعْطِيهِم أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيه.

وَحِينَمَا يَسْتَحْضِرُ المُؤْمِنُ هَذَا الاسْمَ فِى نَفْسِه وَعَمَلِه، فَإِنَّهُ يَتَحَلَّى بِالتَّوَاضُعِ وَتَحْقِرُ الدُّنْيَا فِى عَيْنِه، وَيَسْمُو عَلَى الصَّغَائِرِ، وَيَشْعُرُ بِالرِّضَا فَتَهُونُ أَمَامَهُ الشَّدَائِدُ وَالصِّعَابُ، وَيُبْعِدُ عَنْهُ الهَمَّ وَالحُزْنَ، وَيَزُولُ مِنْ قَلْبِه الطَّمَعُ، فَيَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى القَلِيلِ وَلَا يَطْمَعُ فِى الكَثِيرِ.

الخَافِضُ

«الخَافِضُ» هُوَ الَّذِى يَخْفِضُ البَاطِلَ بِإظْهَارِ الحَقِّ، وَيَخْفِضُ المُتَكَبِّرِينَ المَغْرُورِينَ بِنُصْرَةِ المُخْلِصِينَ المُتَوَاضِعِينَ، وَيَخْفِضُ الكَاذِبِينَ بِكَشْفِ زَيْفِهِم وَكِذبِهِم، وَيَخْفِضُ الكَّافِرِينَ وَالمُجْرِمِينَ فِى الآخِرَةِ جَزَاءً بِمَا قَدَّمُوا فِى الدُّنْيَا مِنْ شُرُورٍ وَآثَامٍ.

وَالمُؤْمِنُ يَنْبغِى أَنْ يَخْفِضَ نَفْسَه وَيَتَوَاضَعَ لِلَّهِ وَلِلمُؤْمِنِينَ، فَيَرَى نَفْسَهُ أَقَلَّ مِنْ جَمِيعِ العِبَادِ، فَلا يَتَكَبَّرُ، وَلا يَغْتَرُّ، وَيَتَوَاضَعُ لِلوالِدَيْنِ وَيَبَرُّهُمَا، وَيَحْرِصُ عَلَى رِضَاهِمَا وَالرِّفْقِ بِهِمَا.

كُنُوزُ «قَارُونَ»

كَانَ «قَارُونُ» رَجُلا غَنِيا مِنْ «بَنِى إِسْرَائِيلَ»، رَزَقَهُ اللَّهُ الأَمْوَالَ الكَثِيرَةَ الَّتِى تَفُوقُ الوَصْفَ، فَقَدْ كَانَتْ مَفَاتِيحُ الخَزَائِنِ الَّتِى يَحْتَفِظُ فِيهَا «قَارُونُ» بِكُنُوزِهِ الثَّمِينَةِ لا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهَا مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الرِّجَالِ الأَشِدَّاءِ.

لَكِنَّهُ بَدَلا مِنْ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ كَانَ يَزْدَادُ كِبْرًا وَظُلْمًا كُلَّمَا زَادَتْ أَمْوَالُهُ، وَكُلَّمَا رَزَقَهُ اللَّهُ المَزِيدَ مِنَ الخَيْرَاتِ وَالثَّرَوَاتِ.

لَمْ يَكُنْ «قَارُونُ» يُحْسِنُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الفُقَرَاءِ، وَلَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ يَوْمًا عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ النِّعَمِ، وَرَفَضَ كُلَّ نَصِيحَةٍ، وَكَانَ يَسْخَرُ مِمَّنْ يُذَكِّرُهُ بِنِعَمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِ، فَيَنْظُرُ إِلَيهِ بِتَعَالٍ، وَيَقُولُ بِغُرُورٍ:

– لَيْسَ لأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَىَّ، إِنَّمَا صَنَعْتُ كُلَّ ذَلِكَ بِعِلْمِى وَاجْتِهَادِى.

فَعَاقَبَهُ اللَّهُ عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ، وَخَسَفَ بِهِ وَبِقَصْرِهِ الكَبِيرِ الأَرْضَ، وَاخْتَفَى كُلُّ أَثَرٍ لَهُ وَلِكُنُوزِهِ فِى بَاطِنِ الأَرْضِ، وَأَصْبَحَتْ قِصَّتُهُ عِبْرَةً لِلنَّاسِ عَلَى مَدَى الزَّمَانِ.

«يُوسُفُ» وَإِخْوَاتُهُ

كَانَ إِخْوَةُ «يُوسُفَ» – عَلَيهِ السَّلَامُ – يَحْسُدُونَهُ عَلَى حُبِّ أَبِيهِ لَهُ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ أَبَاهُمْ يُفَضِّلُهُ عَلَيهِم، فَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَلْقُوا أَخَاهُم فِي بِئْرٍ بَعِيدَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ.

لَكِنَّ عِنَايَةَ اللَّهِ – تَعَالَى – ظَلَّتْ تَرْعَى «يُوسُفَ»، فَسَاقَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ التُّجَّارِ، كَانُوا فِي طَرِيقِهِم إِلَى «مِصْرَ»، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ البِئْرِ، وَبَاعُوهُ لِعَزِيزِ «مِصْرَ»، فَعَاشَ «يُوسُفُ» فِي قَصْرِهِ مُدَّةً، حَتَّى غَضِبَتْ عَلَيهِ زَوْجَةُ العَزِيزِ، فَدَخَلَ السِّجْنَ ظُلْمًا.

لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ ظَلَمَهُ، فَخَرَجَ «يُوسُفُ» مِنَ السِّجْنِ، وَأَصْبَحَ وَزِيرًا لِفِرْعَوْنِ «مِصْرَ»، وَحِينَمَا جَاءَ إِخْوَتُهُ إِلَى «مَصْرَ» عَرَفَهُم وَسَامَحَهُم، فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَاعْتَرَفُوا بِفَضْلِهِ.

الرَّافِعُ

اللَّهُ تَعَالَى يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيَرْزُقُهُمُ المَكَانَةَ العَالِيَةَ أَوِ المَالَ الوَفِيرَ، أَوْ يُفِيضُ عَلَيهِم مِنَ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، وَيَرْفَعُ الصَّالِحِينَ إِلَى أَعْلَى مَكَانَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾

(سورة الأنعام: الآية ١٦٥)

فَهُوَ الَّذِي رَفَعَ المُلُوكَ وَالحُكَّامَ عَلَى رَعِيَّتِهِم المَحْكُومِينَ، وَرَفَعَ الأَغْنِيَاءَ عَلَى الفُقَرَاءِ، وَفِي ذَلِكَ دَفْعٌ لِحَرَكَةِ الحَيَاةِ وَاخْتِبَارٌ لِلنَّاسِ، كُلٌّ حَسَبَ دَوْرِهِ وَمَكَانَتِهِ، وَعَلَى قَدْرِ إِيمَانِ كُلِّ إِنْسَانٍ وَنَجَاحِهِ فِي هَذَا الاخْتِبَارِ، تَكُونُ مَكَانَتُهُ فِي الآخِرَةِ.

وَحِينَمَا يَسْتَحْضِرُ المُؤْمِنُ هَذَا الاسْمَ: لَا يَغْتَرُّ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ، بَلْ يَتَوَاضَعُ لِلنَّاسِ وَيَمْشِي فِي خِدْمَتِهِم وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِم.

الأَمِيرُ «عَمَّارٌ»

كَانَ «عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ» مِنَ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ، وَقَدْ تَعَرَّضَ هُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ «سُمَيَّةُ» لِتَعْذِيبِ المُشْرِكِينَ وَإِيذَائِهِم؛ حَتَّى يَرْتَدُّوا عَنِ الإِسْلامِ، لَكِنَّهُم صَبَرُوا وَتَحَمَّلُوا، فَازْدَادَ حِقْدُ المُشْرِكِينَ عَلَيهِم وَغَضَبُهُم، وَبِخَاصَّةً «أَبُو جَهْلٍ»، فَطَعَنَ «سُمَيَّةَ» بِحَرْبَةٍ فَقَتَلَهَا أَمَامَ عَيْنَي ابْنِهَا، وَاسْتَمَرُّوا فِي تَعْذِيبِ «عَمَّارٍ» وَأَبِيهِ حَتَّى مَاتَ الأَبُ مِنْ هَوْلِ التَّعْذِيبِ.

لَكِنَّ اللَّهَ – تَعَالَى – أَعَزَّ «عَمَّارًا» بِالإِسْلامِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ عَادَى عَمَّارًا عَادَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

وَفِي عَهْدِ الخَلِيفَةِ «عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» أَصْبَحَ «عَمَّارٌ» أَمِيرًا عَلَى «الكُوفَةِ»، فَلَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلا تَوَاضُعًا لِلَّهِ، فَكَانَ يَشْتَرِي حَاجَاتِهِ بِنَفْسِهِ، وَيَحْمِلُهَا عَلَى ظَهْرِهِ إِلَى بَيْتِهِ.

العِزُّ

«المُعِزُّ» هُوَ الَّذِي يَعِزُّ الطَّائِعِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَوْ كَانُوا فُقَرَاءَ، وَيَرْفَعُ الأَتْقِيَاءَ وَلَوْ كَانُوا ضُعَفَاءَ، وَيَعِزُّ الحَقَّ وَكَلِمَةَ الدِّينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَيَعِزُّ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِإِظْهَارِهِم وَتَمْيِيزِهِم عَنِ العُصَاةِ المُجْرِمِينَ، وَيُكْرِمُهُم بِإِدْخَالِهِم الجَنَّةَ. قَالَ تَعَالَى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(سورة آل عمران: الآية ٢٦)

وَالعِزُّ إِنَّمَا يَكُونُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَفِي القَنَاعَةِ وَالرِّضَا، وَعَدَمِ ارْتِكَابِ المَعَاصِي، فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ العِزَّ بِالمَعْصِيَةِ أَذَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَنْ تَرَكَ النَّظَرَ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى السَّعْيِ الحَلالِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الذُّلُّ

«المُذِلُّ» هُوَ الَّذِى يَذِلُّ الكَافِرِينَ، وَيَقْهَرُ الجَبَّارِينَ، وَيَخْفِضُ الطُّغَاةَ وَالمُتَكَبِّرِينَ، وَيَكُونُ الذُّلُّ وَالهَوَانُ لَهُم فِى الدُّنْيَا بِهَوَانِهِم عَلَى النَّاسِ، وَتَبْغِيضِ شُرُورِهِم وَأَعْمَالِهِم الَّتِى يَقْتَرِفُونَهَا إِلَى النَّاسِ، وَيُذِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِكَشْفِ مَا صَنَعُوا فِى الدُّنْيَا، وَعِقَابِهِم عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ بِدُخُولِ النَّارِ؛ حَيثُ يُعَذَّبُونَ فِيهَا وَيَلْقَوْنَ سُوءَ المَصِيرِ.

فَمَنْ ذَلَّ نَفْسَهُ لِلَّهِ، وَابْتَعَدَ عَنِ المَعَاصِى وَالشُّرُورِ، وَصَانَ نَفْسَهُ عَنِ المَطَامِعِ وَالشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعِزُّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

السَّارِقُ وَالحَكِيمُ

ازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى جَانِبَى الطَّرِيقِ، وَهُمْ يُشَاهِدُونَ سَارِقًا مُكَبَّلا بِالسَّلاسِلِ وَالقُيُودِ، يَقْتَادُهُ الجُنُودُ إِلَى القَاضِى، وَهُمْ يَجُرُّونَهُ بِقَسْوَةٍ، وَيَدْفَعُونَهُ بِعُنْفٍ.

وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى النَّاسِ، يَسْأَلُهُم بِإِلْحَاحٍ أَنْ يُعْطُوهُ كِسْرَةً مِنَ الخُبْزِ يَسُدُّ بِهَا جُوعَهُ، فَخَرَجَ إِلَيهِ رَجُلٌ عَجُوزٌ مِنْ بَيْنِ الصُّفُوفِ وَاقْتَرَبَ مِنْهُ قَائِلا :

– أَنْتَ صَنَعْتَ بِنَفْسِكَ مَا صِرْتَ إِلَيْهِ مِنَ الذُّلِّ وَالهَوَانِ، لَوْ كُنْتَ قَنَعْتَ بِالكِسْرَةِ وَلَمْ تَمُدَّ يَدَكَ لِتَسْرِقَ، مَا وُضِعَ القَيْدُ فِى رِجْلِكَ !! ..

«السَّمِيعُ» هُوَ المُحِيطُ بِالأَصْوَاتِ كُلِّهَا مَهْمَا كَانَتْ مَصَادِرُهَا وَأَوْصَافُهَا، المُلِمُّ بِكُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنِ المَخْلُوقَاتِ مِنْ أَصْوَاتٍ أَوْ أَلْفَاظٍ، سَوَاءٌ مَا جَهَرَ بِهَا أَوْ مَا كَانَتْ خَافِتَةً لا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ، فَهُوَ تَعَالَى يَسْمَعُ كُلَّ مَا تَنْطِقُ بِهِ الشَّفَتَانِ، وَمَا يَتَحَرَّكُ بِهِ اللِّسَانُ، وَأَيْضًا مَا يَجُولُ فِي الصُّدُورِ وَالضَّمَائِرِ. وَسَمْعُ اللَّهُ تَعَالَى لا تَحُدُّهُ حُدُودٌ، وَلا يُقَيِّدُهُ مَكَانٌ وَلا زَمَانٌ، فَهُوَ لَيْسَ كَسَمْعِ البَشَرِ أَوِ المَخْلُوقَاتِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ جَمِيعُ الكَائِنَاتِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي أَيِّ مَكَانٍ. فَالهَوَاءُ مِنْ حَوْلِنَا يَمْتَلِئُ بِمَلايِينِ الأَصْوَاتِ، مِنْهَا المَوْجَاتُ اللاسِلْكِيَّةُ لِلإِذَاعَاتِ المُخْتَلِفَةِ، وَمَحَطَّاتِ التِّلِيفِزْيُونِ، وَالهَوَاتِفِ، وَغَيْرِهَا. وَنَحْنُ لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْمَعَ هَذِهِ الأَصْوَاتَ بِآذَانِنَا، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ.

هَلْ تَعْلَمُ ؟!!..

- أَنَّ السَّمْعَ فِي الإِنْسَانِ يَتِمُّ مِنْ خِلالِ ثَلاثِ عِظَامٍ صَغِيرَةٍ، دَاخِلَ الأُذُنِ، هِيَ: المِطْرَقَةُ والسِّنْدَانُ والرِّكَابُ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا العُظَيْمَاتُ السَّمْعِيَّةُ وَهِيَ أَصْغَرُ عِظَامِ الجِسْمِ.

- أَنَّ هُنَاكَ أَصْوَاتًا كَثِيرَةً تَتَرَدَّدُ مِنْ حَوْلِنَا، لَكِنَّنَا لا نَسْتَطِيعُ سَمَاعَ جَمِيعِ تِلْكَ الأَصْوَاتِ؛ لأَنَّ الأَصْوَاتَ الَّتِي يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ أَنْ يَسْمَعَهَا هِيَ الَّتِي تَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ (١٥) إِلَى (١٥٠٠٠) ذَبْذَبَةٍ فِي الثَّانِيَةِ.

وَلِذَلِكَ لا نَسْتَطِيعُ سَمَاعَ الأَصْوَاتِ الَّتِي يَصْدُرُهَا الخُفَّاشُ، وَلا المَوْجَاتُ اللاسِلْكِيَّةُ الَّتِي يَفُوقُ تَرَدُّدُهَا النِّطَاقَ الَّذِي تَلْتَقِطُهُ الأُذُنُ.

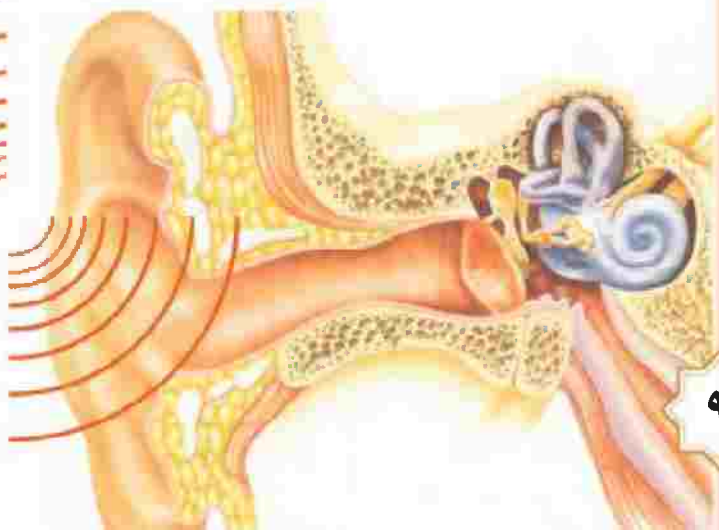

البَصِيرُ

«البَصِيرُ» هُوَ الَّذِى يَرَى حَقِيقَةَ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا : الظَّاهِرِ مِنهَا وَالمُخْتَفِى، الكَبِيرِ مِنْهَا وَالصَّغِيرِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَرَى كُلَّ شَىءٍ فِى الوُجُودِ، وَلا يَغِيبُ عَنْهُ شَىءٌ فِى السَّمَاوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ، سَوَاءٌ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، وَسَوَاءٌ كَانَ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا. فَاللَّهُ تَعَالَى يَرَى الأَجِنَّةَ فِى بُطُونِ الأُمَّهَاتِ، وَيَرَى البُذُورَ الصَّغِيرَةَ فِى بَاطِنِ الأَرْضِ، وَيَعْلَمُ أَمْرَ كُلِّ شَىءٍ فِى الكَوْنِ، مَهْمَا كَانَ دَقِيقًا أَوْ صَغِيرًا. فَمَتَى عَرَفَ الإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ البَصِيرُ: فَإِنَّهُ يُرَاقِبُهُ فِى سِرِّهِ وَعَلانِيَّتِهِ، وَيَسْتَحِى أَنْ يَرَاهُ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فَيُبَادِرُ إِلَى الخَيْرِ، وَيَصْفُو ظَاهِرُهُ، وَيَطْهُرُ بَاطِنُهُ، حَتَّى يَصِيرَ عَبْدًا رَبَّانِيًا.

الشَّيْخُ العَجُوزُ وَالرَّجُلُ الظَّالِمُ

كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ شِرِّيرٌ ظَالِمٌ، يَعْتَدِى عَلَى النَّاسِ، وَيَسْلُبُ أَمْوَالَهُم، وَيَقْتُلُ مَنْ يُعْتَرِضُهُ أَوْ يُقَاوِمُهُ، وَكَانَ كُلَّمَا نَصَحَهُ أَحَدٌ أَوْ دَعَاهُ إِلَى تَرْكِ طَرِيقِ الظُّلْمِ وَالفَسَادِ بَطَشَ بِهِ.

وَفِى أَحَدِ الأَيَّامِ أَقْبَلَ إِلَى القَرْيَةِ رَجُلٌ عَجُوزٌ صَالِحٌ، فَاشْتَكَى إِلَيهِ النَّاسُ مَا يَلْقَونَهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الظَّالِمِ وَأَتْبَاعِهِ الأَشْرَارِ.

فَذَهَبَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ إِلَى ذَلِكَ الشِّرِّيرِ، وَأَخَذَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ وَيُذَكِّرُهُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ عَلَيهِ، فَقَاطَعَهُ الرَّجُلُ بِغَضَبٍ :

– لا أُرِيدُ أَنْ تُحَدِّثَنِى عَنِ التَّوْبَةِ وَالهِدَايَةِ، لَكِنْ أَخْبِرْنِى كَيْفَ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ دُونَ أَنْ يُعَاقِبَنِى اللَّهُ ؟!

فَابْتَسَمَ الشَّيْخ العَجُوزُ وَقَالَ :

– إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِىَ اللَّهَ، فَاعْصِهِ فِى مَوْضِعٍ لا يَرَاكَ فِيهِ.

صَمَتَ الرَّجُلُ قَلِيلا .. ثُمَّ نَهَضَ وَانْصَرَفَ فِى هُدُوءٍ ...

لَكِنَّهُ مُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ لَمْ يَعُدْ يَتَعَرَّضُ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ القَرْيَةِ..

الحِكَمُ

«الحَكَمُ» هُوَ الحَاكِمُ الَّذِى يُنَفِذُ حُكْمُهُ، فَلا مُعَقِّبَ لَهُ، وَلا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَهُوَ الَّذِى يَفْصِلُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

وَهُوَ الَّذِى يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُحَذِّرُهُم مِنَ الفَسَادِ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَى البَشَرِ، لِيُرْشِدُوهُم إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِى تَكْفُلُ لَهُمُ الخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ، وَتَمْنَعُهُم مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلالِ وَالفَسَادِ.

وَ«الحَكَمُ» الَّذِى أَحْكَمَ صُنْعَ كُلِّ شَىءٍ، وَأَتَمَّ خَلْقَهُ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ. وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِى نَفْسِهِ، فَلا يَغْضَبُ عَلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيهِ، وَأَنْ يَحْتَكِمَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فِى كُلِّ أَعْمَالِهِ؛ لأَنَّ فِيهَا الخَيْرَ كُلَّهُ.

جَرَّةُ الذَّهَبِ

اشْتَرَى رَجُلٌ قِطْعَةً مِنَ الأَرْضِ، لِيَبْنِىَ دَارًا، وَبَيْنَمَا هُوَ يَحْفِرُ فِى الأَرْضِ، اصْطَدَمَتِ الفَأْسُ بِجَرَّةٍ مَدْفُونَةٍ تَحْتَ الأَرْضِ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَهَا وَجَدَهَا مَلِيئَةً بِالذَّهَبِ.

أَسْرَعَ المُشْتَرِى بِالجَرَّةِ إِلَى صَاحِبِ الأَرْضِ لِيُسَلِّمَهَا لَهُ، لَكِنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَأْخُذَهَا، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ بِعْتُ لَكَ الأَرْضَ بِمَا فِيهَا، فَهَذَا الذَّهَبُ مِنْ حَقِّكَ أَنْتَ.

أَخَذَ المُشْتَرِى يُلِحُّ عَلَى صَاحِبِ الأَرْضِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُؤَكِّدُ أَنَّ الذَّهَبَ مِنْ حَقِّ الآخَرِ، وَأَنَّهُ لا حَقَّ لَهُ فِيهِ. وَعَلا صَوْتُهُمَا وَتَجَمَّعَ النَّاسُ حَوْلَهُمَا يَتَعَجَّبُونَ مِمَّا يَصْنَعَانِ، وَفِى النِّهَايَةِ قَرَّرَا أَنْ يَحْتَكِمَا إِلَى القَاضِى.

سَأَلَ القَاضِى صَاحِبَ الأَرْضِ : هَلْ لَدَيكَ أَبْنَاءٌ؟

تَعَجَّبَ الرَّجُلُ مِنْ سُؤَالِ القَاضِى، لَكِنَّهُ أَجَابَ : نَعَم عِنْدِى فَتَاةٌ كَبِيرَةٌ.

فَسَأَلَ القَاضِى المُشْتَرِىَ السُّؤَالَ نَفْسَهُ، فَأَجَابَهُ : وَأَنَا عِنْدِى شَابٌّ كَبِيرٌ.

فَابْتَسَمَ القَاضِى وَقَالَ :

– أَنْتُمَا رَجُلانِ صَالِحَانِ .. أَرَى أَنْ تُزَوِّجَا الفَتَاةَ مِنَ الشَّابِّ، وَتُنْفِقَا عَلَيْهِمَا هَذَا المَالَ.. بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا.

القَاضِى العَادِلُ

عَلِمَ السُّلْطَانُ «سَلِيمٌ الأَوَّلُ» أَنَّ بَعْضَ الأَقَلِّيَّاتِ غَيرِ المُسْلِمَةِ فِى «إِسْتَانْبُولَ» مِنَ الأَرْمَنِ وَالرُّومِ وَاليَهُودِ، بَدَأَتْ تُثِيرُ القَلاقِلَ وَتَتَسَبَّبُ فِى بَعْضِ المُشْكِلاتِ، الَّتِى تُهَدِّدُ أَمْنَ وَاسْتِقْرَارَ البِلادِ، فَأَمَرَ أَنْ تَعْتَنِقَ تِلْكَ الأَقَلِّيَّاتُ غَيرُ المُسْلِمَةِ الدِّينَ الإِسْلامِىَّ، وَأَنْ يُقْتَلَ مَنْ يَرْفُضُ ذَلِكَ مِنْهُم.

فَذَهَبَ عَدَدٌ مِنْهُم إِلَى شَيْخِ الإِسْلامِ «زَمْبِيلِى عَلِى مَالِى أَفَنْدِى»، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَمَرَ السُّلْطَانُ؛ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَخْبَرَهُم أَنَّ إِكْرَاهَ غَيْرِ المُسْلِمِينَ عَلَى اعْتِنَاقِ الإِسْلامِ يُخَالِفُ تَعَالِيمَ الإِسْلامِ، وَأَنَّهُ لا يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يُخَالِفَ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ السُّلْطَانَ نَفْسَهُ.

وَأَسْرَعَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ، وَطَلَبَ مُقَابَلَةَ السُّلْطَانِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ يُخَالِفُ الإِسْلامَ، وَهَدَّدَهُ أَنَّهُ سَيَضْطَرُّ إِلَى إِصْدَارِ فَتْوَى بِخَلْعِ السُّلْطَانِ، بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِ لِلشَّرْعِ إِنْ أَقْدَمَ عَلَى هَذَا الأَمْرِ. فَأَذْعَنَ السُّلْطَانُ «سَلِيمٌ» لِرَأْىِ شَيْخِ الإِسْلامِ، وَبَقِيَتِ الأَقَلِّيَّاتُ غَيرُ المُسْلِمَةِ تَعِيشُ فِى أَمْنٍ وَحُرِّيَّةٍ دُونَ أَنْ يَتَعَرَّضَ أَحَدٌ إِلَيْهِم بِسُوءٍ.

العَدْلُ

«العَدْلُ» هُوَ الَّذِى لا يَمِيلُ فِى حُكْمِهِ فَيُظْلِمُ أَوْ يَجُورُ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ «العَدْلُ» العَادِلُ فِى أَحْكَامِهِ، خَلَقَ كُلَّ شَىءٍ بِإِتْقَانٍ وَنِظَامٍ وَحِكْمَةٍ، وَلَوْلا عَدْلُ اللَّهِ لَفَسَدَ الكَوْنُ وَهَلَكَ الوُجُودُ، وَطَغَى الفَسَادُ، فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ البَشَرَ وَرَزَقَهُم، وَأَعْطَاهُم الكَثِيرَ مِنَ النِّعَمِ، فَمِنْهُم مَنْ أَعْطَاهُ المَالَ، وَمِنْهُم مَنْ أَعْطَاهُ العِلْمَ، وَمِنْهُم مَنْ أَعْطَاهُ الصِّحَّةَ، وَمِنْهُم مَنْ رَزَقَهُ القَنَاعَةَ وَالرِّضَا، وَالإِنْسَانُ فِى كُلِّ أَحْوَالِهِ يَنْبَغِى أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (أخرجه مسلم)